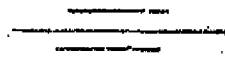


سلسلة رسائل قصص
الأنبياء والأولياء

قاييل . . . وهابيل



بقلم

محمد لييب البوهي

المراجع

القرآن الكريم
الحديث الشريف

للتفسير القرآن	للنسفي رضى الله عنه
قصص القرآن	لأستاذ بجاد المولى بك
قصص الأنبياء	للشعالي رضى الله عنه

ملاحظة : الحوار وحو القصة من تصوير المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

آدم . . وحواء

أخرج آدم وحواء من الجنة فلقيا حالاً غير الحال وحياة غير تلك الحياة الأولى . . . هنا لك كانت السعادة التي ليس إلى الإحاطة بها من سبيل . : وهنا على الأرض التعب والنصب .

والمرأة أكثر رغبة من الرجل في الحياة الناعمة والعيش المترف الخفيض فأصبحت حواء على الأرض تديم النظر إلى السماء تقلب البصر في الكواكب والنجوم كأنما تريد أن ترتفع إلى مكانها القديم . الأرض حولها فضاء من جميع أركانها . . . صحاروات ممتدة إلى حيث لا نهاية . . . لا حداثى ولا جينات ولا قصور ولا أعنساب . . . والدنيا من حولها سكون عميق متصل قتال فهي لا تسمع شيئاً ولا تبصر أحداً .

لقد كانت في الجنة لا تعرف ليلاً ولا نهاراً . . لا صيفاً ولا شتاء ولكنها تستيقظ في الصباح فتري قرصاً ذهبياً يتحرك رويداً رويداً من المشرق إلى المغرب في السماء . . أنها تهب من النوم إذا ما ظهر ذلك القرص الذي يضيء السكون فهي تحسه وتطيل النظر إليه دون

ان تفهم عنه شيئاً . . أن هذا القرص يلتصق ثم يرسل أشعة تمتد كالخيوط الذهبية تبسدد رطوبة الأرض فتنتج حواء بالدفاء . . ولكن هذه الأشعة تشتت ثم تشتت حتى تلبس جسد حواء بسياط من نار فتزدري هذا القرص الناري المحرق وتفر منه من هنا إلى هنالك ولا عاصم لها منه فانها تقيم على الأرض في فضاء متصل حيث لا نبات ولا أشجار ولا بيوت .

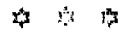
أنها تبكي وتطيل البكاء وآدم يرقب كل هذا عن كسب في صبر وجلد ويقول .

لقد هبطنا من الجنة ولا بد لنا من السكفاح مرة أخرى كي نعود إليها مرة ثانية .

ان الشمس تطارد حواء كل يوم وحواء تفر منها لتعصم بظل آدم الزوج الحبيب من هذا الحر اللافح ولكن القرص الذهبي يجمع خيوطه وأشعته رويداً رويداً وينخفض من عليائه شيئاً فشيئاً ويأخذ معه هذا الضياء الذي تحبه وتأنس إليه ويترك مكانه مرغماً لظلام المساء الكئيف هذا الظلام الذي لم تكن تعرفه حواء في الجنة فإذا بها تفرق فيه ولا ترى نفسها بل لا ترى آدم الحبيب فهي تتحسس طريقها إليه فتبكي مرة أخرى وتعلن في البكاء من هذه الألفيف والأخيلة التي يحسمها لها الظلام . . أنها ما تكاد تحس خلاصاً من

حرارة الشمس المحرقة حتى تشعر بشيء ثقيل يقرص جسدها الناعم
العماري كالابر . . ان هذا هو برد المساء .

وهكذا مرت الايام . . والشهور . . والاهوام



وامتد قلق حواء من الوحده القتالة . . والصمت المريع . .
الاراضى الشاسعة التى لا يحدها البصر . . والجبال الشاهقة التى كأنها
المردة الطوال والقرص الذهبى الذى يلهب جسدها بحرارته والظلام
البغيض الذى يحسم لها الاشباح ويبعث اليها بالبرد يقرصها كالابر .

وأشد أوقاتنا قلقا حين يتركها آدم لينذهب إلى مكان بعيد ليحلب
شيئا من الماء أو شيئا من خشاش الأرض للطعام حتى اضطر أن يحفر
لها في الجبل مكانا تأوى اليه ثم اتخذ هذا المكان مأوى لها يقبها
عناصر الطبيعة .

ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد . . هنالك من البلاء ما هو
أعظم هنالك صوت مريع قبيح . . ينبثق في عنف من الجبال . .
ساخرا شامتا . . وأن هذا الصوت القبيح يكاد يسد على حواء
وحاب الفضاء فهو يلاحقها إذا أقامت ويسبقها حين تجرى ويمزها
حين تقوم وينفذ إليها رغما عنها حين تضع أصابعها في أذنيها فراراً منه

أنه صوت الشيطان .. ثالثهما على الأرض . فلم يكن على الأرض .
بعد إلا آدم وحواء والشيطان الذى أخرجهما من الجنة ثم أصبح
ولا شغل له إلا الكيد لهما وما هو ببدأ برنامجيه بهذا الصوت القبيح
الذى هو أشد نكرا من فحيح الأفعى وأن ضحكاته التيكية تضطرب
لها أعصاب حواء ..

لقد كانت تخشى السكون . ، ولكنها أيضا تخشى هذا الصوت
المنكر القبيح ولترك حواء قليلا فى ألمها وقلقها وحزنها الشديد .
وانبحث عن آدم .

أنه يعود كل يوم فى المساء من تجواله مهمونا منهل القوى من
هذا النضال الذى لم يكن يعرفه وان ذكرى الجنة ونعيمها لا يرحان
خياله ولكن هذه الذكرى تتصل بذكرى أخرى أشد سراحة على النفس
هى ذكرى معصيته فتغور ورق عيناه بالدموع ويبكى ويدى الاستغفار
ويذكر اسم الله الأعظم . . وان آدم يستمع أطراف الليل وثناء النهار
إلى تسبيح الملائكة وأنه يستمع إلى تحياتهم إليه فيبكي شوقا إليهم وإلى
الجنة وإلى الحياة فى ظل العرش .

هكذا كانت تنقضى أيام آدم .

وعاد آدم ذات مساء من تجواله اليومي في سبيل العيش مسرور
غضم حواء الى صدره وألقى اليها كلمات هبّطت على نفسها برداً وسلاماً
فقد جاءه من علم الله انه تعالى سيؤنس وحشتهما بأولاد من صلبهما .

وطارت حواء فرحاً بهذا النبأ السار فعاد آدم يقول :

وقد جاءني من علم الله أنه سيكون من أولادنا من يعبد الله حق
عبادته وأن هذا الفراغ المحيط بنا سيجعل فيه الله تعالى بعد زمن من
الازمان بيوتاً يرفع فيها ذكره تعالى وأن الله تعالى سيخص من هذه
اليوت بيتاً يؤثّر باسمه تعالى وينطقه بعظمته ويحل به جلاله ويجعل
هذا البيت حرماً آمناً يحرم بحر مائه ما حوله وما فوقه وما تحته فمن حرّمه
بهذه الحرمة استوجب كرامة الله ومن أخاف أهله فقد خفر ذمة الله
واستوجب عذابه وسيجعل الله تعالى هذا البيت أول بيت وضع
للناس ببطن مكة مباركا يأتونه شعشعاً غرباً وعلى كل ضامر يأتين من
كل فج عميق يرجعون بالتلبية رجيحاً ويضعون بالبكاء ضجيجاً
ويعجون بالتكبير عجيحاً فمن اعتمره لا يريد غيره فتسد وفد الى الله
وامتضاؤه فمن على الكريم أن يكرم وفده واضيائه وأن يسف
كلاً بحاجته .

ثم أردف آدم يقول وحواء تنظر اليه مأخوذة من الإعجاب
ولقد أكرمنا الله تعالى يا حواء فأعطني .

اننا سنسكن هذا البيت ثم يعمره الأمم والقرون والأنبياء من أولادنا أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن .

وكانت هذه بشرى طيبة أثبتت صدق حواء وفرحت كل الفرح ..
وقد اطمأن خاطرها وأدركت ان هذه الحكمة العليا تحدد للحياة أهدافاً
وترسم لها خطوطاً فلن تكون الحياة على الأرض فراغاً أو هباءً وإنما
هى رسالة ذات أهداف .

وفرحت حواء إذ علمت أن الصلة بين الأرض والسماء لن تنقطع
وأن الله لن يتخلى عنها وعن أولادها فسيجعل الله منهم الأنبياء الذين
يختصهم برسالات السماء وأدركت حواء فيما أدركت أن الله تعالى
يريد للناس أن يتجمعوا دائماً ويتعارفوا دائماً ليعبدوه ويسبحوه وأنه
لما كانت هذه الأرض واسعة الرحاب ومترامية الأطراف وإن الناس
لو تركوا وشأنهم لذهب هذا يميننا وذاك شمالنا ثم لا يفكر أحدهما
فى لقاء أخيه لذلك أراد الله سبحانه وتعالى لهم اللقاء لأن اللقاء
تدارس وتجمع وتفاهم على محاربة الشيطان وحرب الجماعة أقوى من
حرب الأفراد فحدد لهم مكاناً يتجمعون فيه وهذا المكان سماه باسمه
واتخذ لنفسه وقال انه بيته اشعاراً للناس بقدسية هذه الغاية ففتجه
إلى هذا المكان الأبصار والقلوب من شتى بقاع الأرض .. فعند
هذا البيت تتلاقى الأفئدة وتتجمع الأفكار وإلى هذا البيت يكون

السفر وعنده يكون اللقاء جيلا بعد جيل وأمة بعد أمة .
وأخذت حواء رأسها بين يديها تفكر في هذه المعاني الكبيرة
التي لا تقوى عليها .. فما هذه الأجيال ؟..

وما هي هذه الأمم ؟..
وما هم هؤلاء الناس ؟..

أشياء شغلت بال حواء بشواغل جديدة .. لقد فهمت طرفا
بما قاله آدم الذي أتاه الله من لدنه علما ولكنها لم تفهم أكثر ما سمعت
فان المعاني غامضة غائبة في بطن الغيب .

ولكن حسبها أنها إدركت أن للحياة على الأرض غاية وانها ان
تكون وحدها وانما سيكون لها أبناء .. ومن هؤلاء الأبناء سيكون
الأنبياء الذين يؤثرهم الله بتبليغ رسالاته لهداية الناس الى طريق
الجنة .

واذن فقد فتحت الجنة أبوابها من جديد لها ولأولاد الأبناء
وحسبها هذا من معجزة .

صياحة هابيا

لقد رسمت حدود الدنيا .. وفي مركز الأرض رسم مكان

البيت . . . وحددت الأزمان والأجيال والشعوب ووضع للحياة رسالة .. وهذا هو التصميم العام للحياة على الأرض .

فتفكر آدم في هذا وبرزت في ذهنه أسئلة لم يعرف لها جواباً فكيف سيكون نظام العمل . . وما هو نظام الانتاج . . وما هو الحلال وما هو الحرام ؟ . .

إن هذا هو العلم .. فكيف سيكون العلم على هذه الأرض ؟ . .
لقد سأل آدم ربه فقال له تعالى يا آدم إني أجمع لك العلم كله في أربع كلمات واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة فيما بينك وبين الناس .

فأما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئاً .
وأما التي لك فأجزيك بعملك .
وأما التي بيني وبينك ففك الدعاء ومنى الإجابة .
وأما التي بينك وبين الناس فإن ترضى لهم ماترضى لنفسك .

الخير والشر

لقد اطمأن آدم الى ما عليه من ربه من سياسة الأرض وما سيكون من شأنه ومن شأن أولاده وبذلك تم رسم الجانب الصالح

من الحياة ولكن لما كانت الأشياء لا تعرف إلا بضربها فان المال مثلاً لا يعرف قدره إلا إذا عرف ألم الحرمان ؛ ولا يعرف قدر الصحة إلا متى ذاق الانسان المرض كذلك اقتضت حكمة الله تعالى وجود الشر على الأرض حتى يحذره الإنسان وبلوذاً بالخير فالإنسان ان يتألم الجنة إلا بطاعة الله وهذه الطاعة يجب أن يشعر الانسان انها حرام ان له من بعض الشهوات واللذات، فيجاهد نفسه ويقوى عليها طمهاً في لذة أجهل واعظم عند الله .

فكان وجود الشر تحذيراً للإنسان حتى يتجنبه ويتحول إلى طريق الخير فلو كانت الحياة خيراً محضاً لما عني الانسان بطاعة ربه ولما تذكر أوامره ولأهمل كل الإهمل رسالات الرسل فما يهمه منها شيء مادامت النتيجة الحتمية أن يعود إلى الجنة فهو يدرك أن الجنة في إنتظاره سواء عمل لها أو لم يعمل فكان وجود الشر هو الدافع له إلى إجتنابه خشية من النار وخشية من الخزي في الحياة الدنيا .

فالشراذن قد خلق لحكمة ولم يوجد عبثاً .

وقد ذكرنا أن الأرض في هذا الحين كان يعمرها ثلاثة : آدم وحواء والشيطان فلما تلقى آدم من ربه بشرى الحياة السعيدة .. رأى

الشيطان أن يتخذ أسلحته ويتوكل فقال يارب انجتنى رمن الجنة
عن أجل آدم واني لا أستطيعه الا بسلطانك فقال تعالى أنت مساهض
عليه حتى يحذرك ويأتينى ويلوذ بطاعتي .

فقال ابليس يارب زدنى .

قال تعالى لا يولد له ولد إلا ولد لك مثله .

قال ابليس يارب زدنى

قال تعالى صدورهم مساكن لك وتجرى منهم مجرى الدم .

قال يارب زدنى .

قال تعالى أطلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال
والأولاد وعندهم نفس تدهشك فى واستعاذ بي فسيعلم انك لا تعدهم
إلا غروراً ان رجودك هو الشر الذى يجب عليهم أن يحذروه حتى
لا ينسون .

رحمة الله

هنا رأى آدم أن الشيطان قد تسلم بأسلحة قوية فادرك أن الحياة
السعيدة المشرقة التى رسمت حدودها لن تكون حياة دعة ولين وإنما

هي كفاح ونضال وتسابق للوصول إلى الجنة .. إذن فالحياة امتحان
ولقد خاف آدم على أبنائه هذا الامتحان فقال

يا رب قد سلطته على واني لا أمتنع عليه إلا بك
قال تعالى لا يولد لك ولد إلا وكنت به من يحفظه من قرناه السوء ..
قال آدم يا رب زدني

قال تعالى الحسنة بمشقة أمثالها وأزبد لها والسيئة بتثلمها واحدة
وأحجوها .

قال آدم يا رب زدني
قال تعالى .. قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله .

قال آدم يا رب زدني
قال تعالى التوبه لا أنزعها من ولدك ما كانت الروح فيهم
قال آدم يا رب زدني
قال تعالى أغفر ولا أبالي

واعظم أن آدم وسجد لله شكراً وبكت عيناه فرحاً فقد عمت رحمة
الله أولاده .

الحمل .. والوضع

ومضت الأيام وآدم مشغول بهذه الأنوار التي فاضت عليه من
السماء علماً ودينياً ومضت حواء بجانبه تفكر في هذه الدنيا الجديدة
التي ستكون ، وأخذت تجد السعادة في هذا اللون المشرق من
التفكير في آمال المستقبل السعيد وهي تتصور من وراء الأبجيسال
الأمم والشعوب التي ستكون من أولادها .

وفي خضم هذا التفكير بدأت تشعر بآلام في أعضائها جسدها
اعتمد بها شهوراً فبشرها آدم بأن ذلك هو الحمل وبأن هذه الآلام التي
تجدها هي ضريبة الأمومة وهي ضريبة الحياة التي تبذلها الأم من
لحمها وأعصابها في سبيل نفس أخرى تكون بضعة منها حتى يكون
الوليد عزيزاً لديها .

وبعد شهور الحمل وضعت حواء توأمين ذكراً وأُنثى .

قال بعض أهل العلم ان حواء كانت، تلد لآدم توأمين في كل بطن
وكان جميع من ولدتهم حواء أربعين من ذكر وأنثى في عشرين بطناً
أولهم قابيل وتوأمته اقليا ثم هابيل وتوأمته لبودا .

وبدأت الحياة تتخذ لونا جديدا في هذه الأسرة السعيدة .

لقد كان آدم وحواء يشتركان من قبل في البحث عن المأوى
والطعام وافلاح الارض ورعى الاغنام ولكنهما رأيا تقسيم العمل
بينهما فآدم للعمل خارج البيت وحواء لتربية الابناء الذين أصبحوا
قرة عين لهما وأصبحت تستعذب السهر عليهم لان ذلك اداء لرسالة
الأمومة واعداد لهؤلاء الابناء الذين ستكون منهم الأمم والشعوب
وكانت حواء تعلم ان الشيطان متربص لها ولزوجها وأبنائها
وإنه كلما ولد لها وليد ولد للشيطان له قرين وبذلك تتكون عناصر
الحرب بين السالب والموجب وبين الشر والخير وبين الشياطين
وأولاد آدم فيكون لكل انسان من الناس شيطانه .

وكانت تعلم ان الشيطان يغذى أولاده بالحق على آدم وبنيه
ويعلمهم طرق الغواية والاغراء .

فكانت من جانبها تستعين بالله وتعلم أولادها الحب والتعاون
حتى يتغلبوا على نزعات الشياطين .

كان هنالك فريقان وكل فريق يعد للحرب الضروس عدتها .

قاييل . . . وهايل

كان قاييل هو الابن الأول من الذكور وكان هايل هو الابن الثاني من الذكور ولذلك أصبحا عونا لأبيهما فتولى قاييل القوي المتين فلاحاة الأرض وتولى هايل السياسى السكيم رعاية الأغنام وهى مهنة الأنبياء .

وسارت الحياة سهلة مشرقة وكانت حواء تلاحظ الصداقة القوية التى نشأت بين الأخوين فتباركها إذ ليس شىء أكثر سروراً للأم من أن ترى المحبة تجمع بين أولادها .

وفى مساء كل يوم تجتمع الأسرة السعيدة ويجلس آدم قير العين يستمع إلى ما فعل قاييل وهايل طيلة يومهما ويحدثهما وينصحهما حتى إذا انتهى الحديث إلى ذكر اللجنة أحاط به أولاده جميعاً يسألونه عن هذه اللجنة التى ما يفتأ هو وأمه يذكرونها .

فيقول انها أجل من الوصف يا أولادى هنالك نشأنا وهنالك كنت أنا وأمهك ننعم بنعيم لا تعرفون مقداره ولم تكن هنالك أرض

ولا سماء ولا شمس ولا برد ولم تكن نشمر بتعب ولا مرض فينا لمقت
كل أخ إلى أخيه وهم يزدادون عجباً .

و ذات مساء فاض بهابيل الشوق إلى هذه الجنة التي لا توصف فانهز
فرصة هذا الاجتماع اليومي السيد الأسيرة وسأل أباة آدم ألا من
سبيل لنا إلى هذه الجنة . . . حيث لا شاغل للإنسان كما حدثتنا
الا عبادة الرحمن . . وانهم بها من سعادته .

فقال آدم

نعم يا بني . . العمل الصالح وطاعة الله على الأرض هي سبيلنا
إلى الجنة .

فقال هابيل

انه أسهل لا مشقة فيه .

فأغضى آدم وقال . . ليس كما تتصور يا بني انه يعيش بين ظهرا نينا
عدو جبار يقف حاجزا بيننا وبين الجنة .

ولم يكن أحد أولاده في هذه السن الرطبة قد رأى الشيطان أو
تعرض لكيدته فقال هابيل .

إذا كان هذا العدو يعيش بين ظهرا نينا فلماذا لا نقتله . ؟

فقال آدم .

ذلك لأنني بائس . . الله يحرم من ابن آدم بحري الدم فإذا رأك
تلمة بجانب الله أن ينجف ويضعف ويتهيار وإذا رأك تلمة بنفسك
وتدعى ربك تشاء ، ابتداء من الإلهام بدلية إلى الذكر

فقال ماريار .

أفني ربك لم أره ولم أسمع به .

فقال آدم لك من قبل الله .

من قبل الله
يطلب لأشرف من رائي وأكبر من أسمى هذا الذي تكلم به
شيطاناً
التي
يأمن به
التي

التي
والتي
التي

فمنهم
أن

فقد جاك غابيل ذلماً يستعثر

[illegible]

المجلس

وهذا لك خير دليل من يدعي آدم . في بقية قدره ، لأن ما لا يزال
وحيثما انظر الى اثاره في كل شيء تذهب عنهم روائح كريهة
تقترب عليهم بالشعر والجلود النيابين يتساقطون هذه الدروب
اليومية التي يلقونها عليهم أبوعم ايضاً غير موصلة التبريد المذموم
فانتمتعوا به جسدنا وهو يقول :

ان هؤلاء الأندلسيين قد تقبل الله توبة أبيهم وطالت أنا بطريد
الجنة وحملت في اللمة التي انتقلت مني اليكم فسلمتكم أجمعين . . لقد
كان أيرشم مسيداً في الجشة ولكني تعاليت عن الاعتراف بسلطانة

وكننت سبباً في طرده وامراته من الجنة فالحرث بيننا وبينهم يجب أن لا يخدم لها .

ان آدم قد وعد بالعودة الى الجنة وكذلك اولاده كي يصبحوا مرة أخرى فيها سادة ولكن يجب أن نكرس حياتنا الطويلة الشقية لكي نحرّمهم من هذا النعيم الذي ينتظرهم .

في أول الحياة هبط أبوهم معي الى الأرض بتدبيرى وفي نهاية الحياة يجب أن يحشر هو وأولاده معكم في النار ذلك هو درسى الأول والأخير .. وذلك هو الانتقام ادفعوهم الى المعصية فاذا تابوا واستعادوا ربهم فادفعوهم الى المعصية مرة أخرى علنا أن ننصب لهم الشباك من بعيد وهم لا يروننا وعلينا أن نؤخرهم المنكر ونصبه في قالب من قوالب الخير لينخدعوا .

وانى أوصيكم بوصية لن أنفك عن تكرارها لقد اتخذت من المرأة سلاحاً في إغراء أبيهم وعليكم أنتم دائماً أن تستعينوا بالمرأة . . المرأة هي أمضى سلاح في يد الشيطان . . ومن عجب أن الانسان سيهيب هذا السلاح الذى يحارب به .

فوجئوا كل غنايتكم نحو المرأة .. لأنها ضعيفة ولأنه يسهل بسبب هذا جعلها وبساطتها أن تصدقنا وتخدع ومتى انخدعت تبذل الرجل لأنه يحبها ويجب مرضاتها .

خذوها قاعدة ... إختاروا دائما المرأة الجميلة فهي الخيط الذي
تشدون به على أعناق الرجال .

ثم اردف ابليس يقول .

وفي هذه الايام أوشك ولدا آدم قايل وهايل أن يصل الى سن
الرشد فالفرصة أمامكم مهيأة . . ففي هذه السن تلعب غريزة الجنس في
الانسان دورها الخطير ويحن حنيننا متصللا إلى المرأة حتى يتم بهذا
الحنان ما يدعونه زواجا لحفظ النوع البشرى

إن إقليما هذه الفتاة التي ترونها كل يوم هي أجمل بنات حواء وقد
تلقى آدم من ربه أن يجعل إقليما زوجة لها ييل العنيد الذي يدعى الحكمة
ويرعى الأغنام فعلمينا أن تلعب دوراً عنيفا ونجعل من هذا الأمر
معصية ومأساة عليكم جميعا أن تنفخوا في صدر قايل وهو سهل
كالعجينة في يدنا فزينوا له حسن إقليما واحملوا صورتها إلى خياله
واشغلوه بحسنها .

وهيئوا الجو لمأساة عائلية ومعصية تكون هي المعصية الأولى على
الأرض واحذروا ثم احذروا أن تخيبوا

اجعوا من هذا الحب أساس الجريمة الأولى التي يجب أن تلوث
أديم الأرض التي ماتزال بكرا طاهرة حتى اليوم . . . إن الله حرم
القتل فعليكم أنتم أن تزعموا لبني البشر أن القتل نصر للحب واللهم

وَأَنْتَ اللَّهُ يَا مَرْيَمُ بِالْعَمَلِ وَالْقِسَاحِ فَعَلَيْنَا أَنْ نُبَشِّرَ فِي تِلْكَ الْوَجْهِ الْبَشَرِ
الْمُحْصِيَةِ وَالشَّهِيدَةِ .

وَحَادِلًا أَمَدَهُمْ أَنْ يَقُولَ أَنْ تِلْكَ مَهْمَةٌ شَائِقَةٌ

فَصَرَخَ ذَابِلِيْسُ مَعْنَى ارْتَجَ الْجَبَلُ امْرَأَةَ أَخِي وَقَارًا
فَوَجَدَتْ امْرَأَةً جَمِيلَةً . . فَلَيسَ شَيْءٌ بَعْدَ ذَلِكَ شَائِقًا
وَالْآنَ انْطَلِقُوا إِلَى الْعَمَلِ

~ ~ ~

وَهَبَتْ ذَوْبَعَةً عَنِيْقَةً مِنَ الْجَبَلِ الَّذِي يَجَاوِرُهُمْ وَهُمْ يَتَسَدَّدُونَ شَمْسَهُ
الرَّمَالُ وَهَطَلَتْ الْأَمْطَارُ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَبْرَقَ الرِّيحُ فَاسْتَوَى الْإِيمَانُ بِكَأَنَّهُمْ
ابْتَلَيْتَهُمْ الْإَرْضُ



ثم التفتت حواء الى لبودا وقالت :

وأما أنت يا عزيزتي لبودا فإن الله تعالى قد أعطاك حسنا وجمالا
من نوع آخر . . بل قد يكون جمالك أقرب الى السكال من الحسن
الظاهري فقد منحك طهارة في القالب وذكاء في الفؤاد وذلك جمال
الروح وهو جمال مستمد من قبس الله فاشكري الله يا غنائ على نعماته
وسبحي له بالمشي والإيصال هلي هذه النعمة التي حماك بها من شتمات
الشياطين .

واستدركت حواء توجه الحديث اليهما معا فقالت :

وان الله تعالى قد قسم حسن المرأة الى قسمين . . قسم ظاهري
كهذا الحسن الذي ينضج به وجه اقلينا . . وحسن باطني كهذا الحسن
المهادي الذي يفيض عن روحك الطاهرة يا لبودا ثم
ظهر الالم على وجه حواء وهي تقول

ولكن الرجل من أبنائي مأسره في أغاب الأسر ذلك الحسن
الظاهري البراق ويدفع به الى شيء يسمونه الحب وهذا الحب سيكون
في أغاب أحواله قويا فوارا يغلي في عروق الرجل غليانا وقد يشتعل
كالنار حتى يحرق الرجل نفسه ويحرق كل شيء حوله .

ثم خفت تقطيب وجهها وعبر وجه حواء عن شيء من الأرتياح وقالت

ولكن قلة من ذوى البصيرة من أبنائى الرجال سينفذون بخصيتهم
إلى عالم الروح فيستشفون نبل الروح وطهارة قلب المرأة فيسكون
الحب هادئا لا يغلى فى الحروق ولا ينفور فى الدماء وإنما يفيض
بالنور ويضيء الرجل والمرأة سبيل الحياة السميدة

ثم أردفت تقول

اننى لا أخشى عليك الفتنة يا لبودا ولكن مساعدنى يا عزيزتى
أن نحمى أختك أقلما من مزلق النفس ووسوس الشيطان .

أول غرام على الأرض

كان قابيل وهايل يقرمان مع الفجر للصلاة مع أبيهما آدم . . .
فيؤدى هايل صلاة حارة كلها خشوع وضراعة وبكاء شوقا إلى الجنة
ويصل قابيل صلاة رمزية خاطفة لا خشوع فيها منصرف النفس
فى الأيام الأخيرة إلى فكرة قد شغلت لبه . . . واستبدت بهقله وما
تنفك هذه الفكرة تزداد على الأيام رسوخا فى ذهنه .

لقد تعود فى الأيام الأخيرة الانزواء والانصراف عن أخيه فإذا
كان هايل يمر وهو يعى أغنامه بحقل قابيل جاءه هاشا باشا يريد أن

يتحدث اليه من هذا المم الذي يشكك في قاييل فانه قد
أعطاه ظهره وانصرف عنه .

وفي ذات صباح كانت اقليا قد خرجت إلى الحقل تجنيح
البقول اطعام الأسرة فتصدى لها قاييل وامسك بذلا بيها ففتحت
أبصارها حياء فانتهرها وقال لماذا تفشين من عيذك هكذا .

فقالت اقليا . . لقد أمرتني أمنا أن لا أطيل النظر إلى أحسن .
فقال ولكني أخوك يا اقليا

قالت انك حرام على يا قاييل

فتار قاييل وهزها هزاً عنيفاً وهو يردد ما هذا الهراء . . انك لي
وحسدى ولو انطبقت السماء على الأرض انك بحسبك وروحك
وحسنك الفتان ملك يمى . . لقد ولدنا معاً في بطن واحد ولدت
فأنا أحق الناس بك

فأجابت ان أبانا يقول يا قاييل . .

فتهرها . . اسكتي يا فتاة . . لا تتحدثي عن أحد . . إنما أنا
الذى أقول .

ان أمى تقول يا قاييل

فتبين لها مرة أخرى . . قلت امسكتي يا فتاة . . فان استمع الى
مذنبك سيروى . هذا الحديث الرائع الخلاق الذى يفيض ندوبة والذى
يأتينى مع الهواء من بعيد من حيث لا أعرف فيوقد فى نفسى نارا
تتهرب بحبك حتى اذا اندلعت هذه النار فى أوصالى تبددت لى صورتك
يا اقلما فأناجى طيفك فى الخيال كأن عندك وحدك المساء العذب
الذى يطفىء ما يتأجج فى نفسى من حرارة الظما الى الحسن .

فقلت أنا لا أفهم هذا يا قاييل وما يليق بك أن تقوله لى ونحن فى
مخلوة ما كان يجب أن تكون بيننا فان المخلوة سلاح الشيطان .

فضحك قاييل وقال .. شيطان .. اذا كان الشيطان هو الذى يهوى
هذه المخلوة فياله من صديق مخلص محبوب .

ثم اردف يقول

لقد سمعت أى يتحدث عن الجنة التى جاء منها وأنا لا أهتم بهذه
الجنة وأنا على أنهم استعداد أن أبذل حظى منها فى سبيل الحصول
عليك يا محبوبتى .

فقلت اقلما .. هذا ليس من شأنى ولا هو من شأنك وإنما أبى
هو الذى يتلقى أمر الله فينا لعمارة الأرض على أساس سليم .
دعى الأرض وعمارتها فما يهمنى عمارها ولا خرابها . . واتركى

هذا الهراء . . واعلى أن أباك قد عصى ربه في الجنة . . وسأكون
أنا في سبيل حسنك الفتان أول عاص على الأرض . .
فوجلت أقليها وقالت ستكون من أبناء النار
فضحك وقال مرحبا بالنار لو كان فيها الفوز بحسنك
قالت . . هه . . انك تخطيء
قال لأبالي

فقلت إذن دعني وهمت أن تنصرف غاضبة مولية فاستدار اليها
غاضبا يريد أن يمسك بها فانفلتت هائمة وعادت الى البيت .

الرجل الصالح

كان هايل قابلاً في ظل صخرة في الجبل وأماه الأغنام ترعى
قد وضع بين يديه بعض الحشائش الطرية جمعها خصيصاً لشاة
حديثه الولادة وقد انصرف بكليته إلى أخرى قد أصابها جرح فهو
بالج جرحها في رفق وعطف فانه إنسان صالح مشرق النفس بالخير
بفيض قلبه بنور الايمان الذي يغمر كل شيء حوله بجمال هادى
محبب إلى نفسه فان المؤمن الصادق الايمان مثله كمثل الرسام الذي
يضيف بريشته ألوان الحياة التي يحبها حتى يبدو كل شيء لأبصاره جميلاً .
لقد كان هايل ينعم النظر في كل شيء حوله مأخوذاً بروعة الكون
فيتفكر في خالقه وهو ما ينفك يسبح ربه كلما اتجه بأنظاره ذات
اليمن أو ذات الشمال .

وبخاة رأى أخاه مقبلاً نحوه في ثورة نفسية تشيها اضطراب
خطاه وغضبه البادى على وجهه فان عينيه لتكادان تشتعلان غضباً
لقد أبصره هايل وكأنما رآه لا يأتى وحده ان خلفه شبح أسود ينشر
في الجو ظلاماً ثقيلاً فادرك ان أخاه قد جاء بصحبة الشيطان .

فقام إليه يرحب به ويلتصق بالابتسام وأراد أن يقبله ويضمه إلى صدره ولكنه نحي يديه في عنت وكان بينهما الحديث التالي :

هايل — أهلا وسهلا يا قاييل . لقد مجئت الآن تشاركني مسراتي في هذا الجو الشمرى السعيد .

قاييل — دع هذه الخرافة . . فأنى لا أبصر شيئا مما تقول
— هذه النعم الغياضة علينا يا قاييل . ۱۱ أتشكرها . . ؟ تبالك
أنظر عن يمينك وعن شمالك وامعن النظر في هذه التلال والجبال
من الذى أرساها . ؟ أليس هو الله رب العالمين . . أنظر يا قاييل
إلى هذه الأنعام التى ترعى هذا السكلا . . من الذى أنبت لها العشب
وجعلها لنا رزقا . . ؟

أليس هو الله رب العالمين .

أنظر الى هذه السماوات التى قامت على غير عمد . . من الذى
رفعها على هذا الوضع العظيم . . ؟

أليس هو الله رب العالمين .

أنظر يا قاييل الى تعاقب الليل والنهار فى نظام دقيق ولاكل
مواقيت معلومة من الذى حدد هذه المواقيت .

أليس هو الله رب العالمين .

بل أنظر يا قابيل إلى نفسك .. من الذى خلقك بشراً سوياً ؟
بل أنظر إلى عيناك كيف تبصران وتبيران الأحرار من الأصغر
الأبيض من الأصغر .

أنظر يا قابيل إلى عقلك كيف يفكر وكيف يستوعب
آلاف على صغر حجمه وضآلته

وتذكر أن الله بـرحمه هو الذى أنعم عليك بكل هذا
قابيل « ضجراً ، كفى كفى هديانا فإني ما جئت الآن أهزل بل
جئت لأمر كله جده .

هايل .. يا سبحان الله هل هنالك ما هو أكثر جداً وحققاً من
التفكير فى خالق السموات والأرض وعبادة الله الرحمن الرحيم
قابيل — هنالك غير هذا .. تلك النكبة النكباء التى تنسج أنت
خيوطها حولى فى الظلام .

هايل — مزعجاً .. أنا .. ؟ !!

قابيل — لقد رأيت الآن ألقيا وتحدثت اليها

هايل — ضاحكاً .. وهل هذه هى النكبة

قابيل — وإني أحبا كل الحب

هايل — د في هدوء ، هذا مالا شك فيه فهمي اختنا
قايل — ولكنني أدرك أن حي لها يسوءك ياهايل
هايل — لقد أوشكت أن تهرف فان حب الأخ لاخته أمر
مفروض مقطوع به

قايل — لا تتخايب فان حي لها ليس من ذلك النوع الفلسفي
الذي تستغرق في تحليله فتقول أنه الهام من تور الإيمان وأنه حب
تباركه السماء . . ان هذه المعاني قد تنطبق عليك في حبك لهذه الشاه
أو ذلك الحقل أو تلك النجوم . . أما حي أنا لاقليما فهو حب من
نوع آخر . . حب ملتهب

هايل — اني أفهم أن الحب كله خير وأنه سبيل الانسان
الى الجنة .

قايل — ولكن حي أنا لاقليما قد يكون سيلا الى النار
هايل — أنا لا أفهم ماذا تعني .

قايل — بل أنت تكذب . . أنك تحاور وتناور في الحديث
وأنه تزيد وراء فلسفتك هذه أن تستأثر باقليما فتزوجها وأحرم
أنا منها .

هايل — هذا كلام أسمعه للمرة الاولى . . فان زواجنا أمر

كول لا بينا وهو يتلقى دائما توجيهات السماء
قابيل — ولذلك أقول أنك وأباك تتآمران على ذلك
هابيل — « منزعجا » أن هذا الكلام ليس كلامك يا قابيل . .
الشیطان هو الذى يتحدث على لسانك

قابيل — لو كان الشيطان ينيلنى اقلما لاتخذته لى ولما
هابيل — انك توشك أن تتردى فى هاوية الضلال . . فتحدث
أبيك فى هذا الامر عسى أن يجيبك اليه مادام يرى لك فيه الخير .
ذا أقر أبونا بحكمته هذه الرغبة فانى أبارك لك هذا الزواج
قابيل — نعم سأحدث الى أبى . . ولكنى أحذرك بل أنذرك
هابيل — عفا الله عنك يا قابيل . . استعذ بالله . . وكن أهدأ
أنت

قابيل — احتفظ بهذه النصيحة لنفسك . . وإياك أن تلقى هذه
لا بتسامة التى تشعرنى أنك تخدرنى بها . . وكلمة أخيرة إياك أن تحوم
حول اقلما
وتركه وتولى دون أن يلتقى اليه السلام . . لقد كان الشيطان هو
لذى يدفعه

آدم . . وقابيل

وانصرف قابيل وقلبه من الفيل كآفة مردل يلقى . . .
أعصابه دماء تسكاد تلهب ولم يكن يعد قد لقي صغار مشة في ريشته أمر
صعابا . . . ولكن الحب الشهواني دائما يفرج نار النشوة ويعبى
البصيرة ويخلق في ذهن صاحبه الاوهام والظنون فيغفل كل انسان
عزولا وأن الدنيا تقف له بالمرصاد ويقف بجانبه الشيطان يركى هذه
الشهوة ويلونها أشكالا وألوانا فيتخبط وينفذ صوابه ويستندب الشر
والتحدى وهو يرى في ذلك تضحية لا بد منها للفوز بما يعنى

فأولئك الذين ينتحرون عند فشلهم في هذا الحب الجثمانى العارم
العنيف إنما يندفعون بقوة وهم قاهر يحسم التوافه من الامور وأولئك
الذين يخاصمون أهلهم ولا يستمعون إلى النصيح إنما يندفعون بعصية
خرقاء يخالون معها أن حياتهم تصبح لا معنى لها بغير هذه اللذة
العارمة .

وخير دواء لمثل هذا الحال هو الزمن فان الذين تركوا هذه الشهوة
العارمة بمض الوقت ليعالجوا أمرها تارة من هنا وتارة من هناك

تبتذلت ، فتمزق لحم فسكيا ألح عليهم الشيطان وفتح لهم من عالم اللذة بابا
د باب ، سنده العقول وكنيا النقي الشيطان فاربا أطفأها ذكر الحق وتحليل
أمور وبذلك هدأت هذه الثورة واستعادوا سلطانهم على أنفسهم

لقد كان الشيطان يجمع كل أعوانه خلف قاييل ليذفوه وكان
ييل فريسة سهلة للشر وكان شأنه شأن العاشق اللاحق الذي يظن
بقسامة الناس له سخرية وحديثهم خداعا ونصائحهم شراكا فاندفع
لى أبيه آدم ولم يكن يجرؤ من قبل أن يرفع عنده صوته أو
عد اليه بصره ولما كن الشهوة العارمة تكسب صاحبها ما يظنه فى مثل
هذا الحال شجاعة وما هى الا تهور وطيش

لقد أعلن قاييل عند أول لقاء أنه يريد أن يتزوج اقليا
فقال آدم — ولكن ما هكذا يكون الامر يا قاييل .. لقد كنت
فكر حقا فى زواجك وزواج أخيك هاييل .. ولو لم تتحدث أنت
لى لتحدثت أنا اليكما

قاييل — انى أريد اقليا

آدم — انى أفهم هذا تماما يا قاييل من اسلوب حديثك فأن
العاطفة الهادئة النذيلة تكون دائما مشوبة بالركة فى الطلب والحياء فى

العرض لأن الحياة جزء من الايمان وانما هذا القول السافر والتحديد
الحاد فلن يكون الا من قلب تنقصه أشياء

قاييل — اننى أريد أن أتزوج اقليا

آدم — أن الزواج يا قاييل مشاركة بين الرجل والمرأة فى الحياة
التي كتبت علينا فوق هذه الأرض وهذه المشاركة تقتضى التفاهم التام
وتعاطف القلوب ولكن الذين يهملون هذا ويؤخذون بلذة الجسد
انما يعمون فريسة اللاتانية الطاغية التي توفر لهم لذة حسية قد تنأى
بهم كثيرا عن حقائق الحياة ... اجبني فى صراحة يا قاييل .. هل تحب
حقا اقليا .. ؟

قاييل « فى جرأة » — نعم

آدم — وما هى علامات هذا الحب

قاييل — اننى أريد أن أتزوجها

آدم — اجبني وأصدق فى الجواب يا قاييل .. هل ترى فى أختك
لبودا من عيب

قاييل — لا أدري ولكنى أحب فقط اقليا

آدم — ما هو أول شيء يجذبك اليها حين تراها .. أظن أنه
وجهها الحسن الوضى

قاييل — نعم

آدم — فلنتصور مثلاً يا قاييل أن هذا الوجه الحسن الذى تحمله
ليما قد انتقل فأصبح على جسد لبودا فهل يظل حبيبك باقياً لأقلية
يتحول .

قاييل — كلا . . يل كنت أحب لبودا

آدم — إذن فأنت تحب فقط هذه القطعة من اللحم والعظام التى
سمى الوجه ولا تهتمك أقلية من حيث عاداتها أو خصائصها أو
كبرها .

قاييل — نعم

آدم — ولو فرضنا أن أقلية قد أصيبت بتشويه فى وجهها فقدت
حدى عينيها مثلاً أو أستطال أنفها وتضخم أنفها إذن على أن
زوجها .

قاييل — يطرق مفكراً دون أن يجيب

آدم — ان الذى تسميه أنت حبا ليس من الحب فى شيء . .
ه اشتباه لهذا الحسن . . ومتى أصبح هذا الحسن ملك يديك شهوراً
أعواماً فأنت ستمله حتماً وتنصرف عنه . . ان الشهوة لا تصلح
ساساً للحياة وقد طردنا من الجنة بسبب شهوة عارضة

هايل — انتى أراك أنت وأمى مثلين صالحين فى عبادة الله وفى
عمارة الأرض فلا بد أن يكون هذا هو الزواج
آدم — هل أفهم من ذلك أنك ترى فى الزواج رأيا صالحا
يحبه اليك .

هايل — مفضيا فى حياء ، — قد يكون هذا
آدم — إذن فاني أريد أن تتخذ لك زوجه
هايل — لك الأمر وعلى الطاعة
آدم — وعليك أن تختار إحدى أختيك .. أما اقليها .. وأما لبودا
هايل — أن الله تعالى قد أعطاك من لدنه علما فانت الذى تأمر
بما ترى فيه الخير .

آدم — وأنى أريد أن أتبين رغبتك
هايل — أننا لانعيش وحدنا على الأرض .. أن الشيطان بمكر
بنا وهو للإنسان عدو مبين والزواج هو نقطة التحول فى حياة
الإنسان إلى طريق جديد قد يكون فيه الخير وقد يكون فيه الشر
وإذا تركت لنفسى فى الاختيار فآخى أن يحبب الشيطان الى هذه النفس
ما يرى فيه الشر أما إذا ترك الرأى لمن هو أكبر سنا واكثر حكمة
فقد يبارك الله هذا الاختيار .
آدم .. اسمعت يا قاييل

قاييل .. أنا لا أسمع إلا صدتي نفسي

آدم .. ولكن الزواج يا هايل فيه متعة للإنسان .. وأملك ترى
وجه اقلها أكثر حسنا من وجه لبودا فهي قد تكون أكثر امتعا
للزواج .

هايل .. قد يكون ذلك صحيحا يا أبى إذا كانت نعمة الزوج
قاصره على متاع النظر فحسب .. أما وأن الحياة أكثر عمقا من مجرد
النظر إلى ما يبدو حسنا في الظاهر فإن صلاح الزوج قد يكون في
صفاء نفسها وطيب قلبها واستعدادها لمشاركة الرجل في كفاح الحياة
ثم أنى أخشى أن يكون الجمال الظاهري عند المرأة وقد علمنا أنها
أقل من الرجل عقلا وادراكا للحقائق الأمور دأما لها إلى الطيش
إذا لم يكمل هذا الحسن الخارجى بجمال الباطن

قاييل : فرحا ، اذن فأنت لا ترى مانعا من زواجك من لبودا
وبذلك تصيح اقلها من نصيبى

هايل — إذا شاء أبى فانى لا أملك لنفسى معه أمرا

آدم : بعد اطراق ، ان اقلها هي أخت قاييل من بطن واحد كما
أن لبودا أخت لهايل من بطن واحد كذلك وأن الله تعالى يأمر أن
يتزوج كل أخ أختا له من بطن آخر

قاييل : تارآ ، ... ان أتزوج ابودا اللدبة بل لابد من اقايل
آدم ... منه يا قاييل .. أذاك توشك أن تعصى امر الله
قاييل : فى حدة ، ... وقد عصيت أنت من قبل

» « «

وطفرت من بيني آدم دموع غوار لند ذكره هذا الابن العاقر
بما كان يحب دائما أن ينساه . لقد اجنحه الم بأمارق ولم يحب
وانفعل قاييل مندفعسا فى قرة إلى الجبل وتلاه هاييل يرهى
أغنائه وترك آدم غارقا فى أمكاره

» « «

لقد تراءت أحداث الماضي أمام آدم الواحدة تلو الأخرى وارتد
بفكره الى هذه السعادة الصافية التى حطمها بمصيته فى الجنة وما كان
من غضب الله عليه .. وارتجف جسده خوفا ولكنه تذكر التوبة
فانسابت اليه نسبات رطبت كبسده وتراءت له صورة الشيطان
وهو يأخذ بتلايب ابته قاييل

فأدرك أن الحرب بينه وبين الشيطان قد بدأت تدخل فى طور
جديد فقد بدأ الرجيم الملعون يمد أصبعه فى حياة الأسرة الودعة

المادة ليقابلها رأيا على عقبه وليتيسر بأصحابه بل حتى أن أفرادها
ويقتصر به في الاسم والذوات

أدرك آثم أن أحدهما لم يكن توحيدا أن تخرج من الأثرين التي
متسبب مع من السلبية بديلة لا يعرف لها إلا الله تعالى أن لا ينج
الاية لأن في المادية إلا إلى ... دراسة ... آثم إبلاده
من هذا المصالح

والتي ما من المذنبات من أن ... في ... في ...
... آثم وأدرك الكثرة ... في ... في ...
... في ... في ... في ... في ...
... في ... في ... في ... في ...

... في ... في ... في ... في ...
... في ... في ... في ... في ...
... في ... في ... في ... في ...

... في ... في ... في ... في ...
... في ... في ... في ... في ...
... في ... في ... في ... في ...

... في ... في ... في ... في ...

القرآن

وأصبح آدم دائم التفكير مشغول البال فان الشيطان يوشك أن يضرب ضربته فيوقد نار هذه الفتنة الجديدة التي تقف على الابواب واذا كان هذا ما يحدث للبشر وهم أفراد يعدون على الاصابع فكيف تكون الفتنة اذا بلغوا الالوف أو الملايين

وقد زاد في هم آدم أنه أصبح يرى الشيطان يكثر من زيارة هذه الاماكن فاذا رأى قابيل سار خلفه ملاحقاً له كأنه الظل لقد فتح قابيل صدره لنزعات الشيطان وأسلم اليه قياده وعيّننا حاول أبوه أن يرده الى جادة الصواب

وكانت حواء تشاطر آدم هذا الحزن فهي تنظر الى ابنتها اقلية وقد جرت عادة الامهات أن يفرحن بجمال بناتهن ولكن حواء أصبحت ترى في هذا الجمال الذي أسر أب قابيل زمكية عظيمة فتتمنت أن ولدت اقلية هذه دعيمة شوهاة إذن لاستتب الامر وظلت السعادة تظل سماء هذه الاسرة الوادعة

فيا لحكمة الاقدار التي تخفى حكمتها على الناس فان الانسان قد
يتمنى الشيء وفي تحقيقه هلاكه ولو كشف له غطاء الزمن لآثر أن
يفر عما يلح في طلبه ويبذل في سبيله كل مرتخص وغال
هذه اقلما ولدت جميلة يكاد حسنها يضئ ظلام الليل وتعمل أحداً
لم يكن أكثر فرحاً بجمالها من حواء إذ تلقت هذه الابنة الرائعة الحسن
ولكن بعد أن تقدم الزمن رأت حواء أن هذا الحسن سيقوض
بنيان سعادة الأسرة من الأساس فهوى بين الحزن والبكاء تتمنى لو
ولدت اقلما دميمة شوهاء أو لو لم يكن لهذه الابنة على الأرض حياة
لم يكن آدم وحده هو الذي يسمى على الأرض مهموماً يفكر
ولكن كانت حواء أيضاً تنوء بحزن فوق الاحتمال
وذلك شأن الآباء والأمهات .

وأخيراً عاد آدم هادئ النفس قريح العين من جولة في شعاب
الجبل لقد ألهم من الله تعالى الهاما أن يدع أسر ابنه للسماء
فان قاييل يظن ظنا يملأه الأثم أن آدم قد تواطأ مع هايبيل على
زواجه من اقلما
اذن فليجعل قاييل يتلقى هذا الأمر مباشرة من السماء وليقدم كل
منهما لله تعالى قربانا فمن تقبل قربانه تزوج اقلما

وفي ذلك المين كانت القرايين تقدم من أعز ديار إلى الألسان من
أسباب عينيه ثم يتردد هذا القريان فوق الجبل فإذا استجاب له
أرسلت نادياً تلهم هذا القريان

وإذا إذا كان ذلك القريان من نورا فلن تلهمه قار و إذا من
طعاما للسمان

واستدعى آدم ولديه . . . قابيل . . . وقايل . . . وأثم برما هذا
الامر الذي أمر به الله تعالى
ففتحوا قابيل . . . قال . . .

أنها لحيلة . . . فأتى لأهم منى لهذا الذي . . . تلك . . . برة . . . يده
من أبايل الخناج

بهذهذا أحب الشيطان قلا . . . قابيل . . . أسبغ لابتين حتى بأوامر
السماء وبما من القلاب تبار استواء . . . يقول أنه لابد أن يتزوج القلي
سواء أكل . . . المان القربان أم مركب . . . القربان . . . الخ لقد نفخ
الشيطان في شدة فاسبح بعداً وأسيراً للذي . . . شمس من كنفه . . . وقال
جميع ذلك فلن أستمع من هذه الميزة إلى . . . دسهم . . . نفوة في
هذا الشيطان . . . ثم ذكر . . . فأنفخ . . . القربان . . . من قدامته فهو
شيء . . . فله . . . من سرور كبير إذا تركه للتي . . . أن القربان

فازداد انما وطغيانا

لقد وضعت القرايين علي قمة الجبل وما كاد آدم وهابيل وقابيل
بولونها ظهورهم حتى انبثقت من السماء نار التهمت قربان هابيل
فقال آدم — هذا حكم السماء .. ان هابيل هو الذي يتزوج اقليا
وتجههم وجه قابيل وفرلونه واضلاربت أوصاله .. ونسي نفسه
ونسي ربه ونسي أدبه فارسلها في ربهه آية صيحة مدوية تفيض
بالغضب ... لن يتزوج اقليا أحد سوى رضىت بذلك السماء ..
أم لم ترض

وادرك أبوه أنه يعارى الجوانح على شر فاول أن يهدى .. من
روعه وأن يعيد عليه درس الحياة .. ولكنه هزل مسرعا

واعزل قابيل أهله .. وسار على غير هدى وقادته قدماء إلى
الجبل بحرق الارم وبقالب الأمر على جميع وجوهه ويبحث عن حيلة
يفوز بها باقليا وكان الشيطان يفتح أمامه من أبواب الشر بابا بعد
باب .. فكان يؤجج نيران الحقد في صدره وكلما أوشكت هذه النار
أن تتمد قذف الشيطان الى قلبه بوقود جديد

م يفكر قابيل مرة واحدة أن يستعين بالله ولم فعل لو وجد الله
في عونه ولكنه اتخذ الشيطان قرينا اذ كان يصور له طيف اقلما في
أروع مظاهرها

فحينما أرسل قابيل بصره فثم خياطها وطيفها . . . وذلك شأن
الماشقين وشأن الشيطان معهم وشأن أوليائهم التي تتجسد وتتخذ
أشكالا وألوانا وكلما رأى قابيل هذه الصورة الرائعة وأدرك أنه قد
حرم منها ثارت نفسه وثار غضبه وازداد حقدًا على هابيل وارتسمت
في خياله صور شتى للانتقام منه وبرز الشيطان فكرة الانتقام في
حزم وقوة وأراد أن يرسم لقابيل طريقا يسلكه فألقى ابليس بطائر
من طيور الأرض وتناول ابليس الى صورة طائر كبير أخذ يجرى
خلف الطائر الضعيف المسكين حتى تمكن منه وأمسك رأسه بمخالبه
وأخذ يذق رأسه على صخرة في الجبل والطير الضعيف المسكين يصرخ
حتى تمطعت رأسه وسكت جسمه

وكان قابيل يرى عن كسب هذا النضال الرهيب بين الطائرين
فلما قتل الطائر وهمدت حركته قام قابيل اليه يتحسسه فأخذ بما رأى
إذ لم يكن يعلم أن هناك شيئاً اسمه الموت ينتهي بالخلق الى هذا
السكون فلا يملك لنفسه حولا ولا قوة

وبرقت في ذهنه خواطر شتى فانه لو فعل بهاييل ذلك اذن لخذ
جسده ولم يعد ينافسه فيخلو له وجه اقلها

واستبد به هذا الخاطر كما يستبد روح الشر بالانسان العاشق الذي
لا يرى إلا لذته ممثلة في كل شيء وقد يندفع إلى الجريمة لقضاء مأربه
فانتشى قاييل فرحا وأخذ يتغنى في وحدته سرورا بهذه الحيلة التي
اكتشفها .

لقد وقع في الفخ الذي نصبه له الشيطان وتلبذ عليه وحفظ أساليبه
وهكذا يستعذب المجرم الجريمة مادامت طريقا الى غرضه
فأخذ يتجسس صوب قاييل وهو قائم عند أغنامه يراها
ويذكر الله ويحيل نظره في الفضاء العريض الذي يسبح كل شيء فيه
لخالق الأرض والسماء

فلما رآه هاييل مقبلا نحوه وهو يتغنى فرحا سر لذلك هاييل لطمارة
نفسه كل السرور وظن أن أخاه قد أقلع عن غيه وأنه انفلت من
أسار هذه الفتنة التي كبته باغلاها فتقدم نحوه مادا ذراعيه يريد أن
يحتضنه ويقبله قائلا له لعلك قد ندمت على هذه الاساءة التي قدمتها
لنفسك وأن الله تعالى قد فتح عليك بالتوبة عن معصية أيك وأنقذك

من هذا الضلال الذى كنت موشكا أن تتردى فى حمايه

ثم أردف يقول

أقسم لله يا قابيل أنه ليس شئ أحب الى نفسى من تحقيق رغباتك
لو كان فى هذا الخير ولكن أبى يقول أن ذلك اختيار الله وليس لنا
إلا الطاعة والانابة ولقد كنت أقدم القربان وأنا ابتهل فى قرارة
نفسى أن تكون الفائز لهدأ نفسك ويطمئن قلبك

ونظر اليه قابيل فى ذهول عميق ولم يجب

انه مشغول بصورة الطير المقتول .. هذا الطير الذى صرخ
صرخة واحدة ثم تلاشى صوته فى الفضاء العريض وهدأت حركته
وبدت هذه الصورة تماما مجسمة فى ذهن قابيل .. تريد أن تبرز
يدافع شيطاني الى دنيا الواقع

ان هايل هذا يجب أن يتلاشى من الارض . يجب أن يزول أو
يتبخر وان تتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق
أما وهو قائم ليحول بينه وبين اقلها فلا بد من تمثيل قصة ذلك
الطير الذى صرخ صرخة واحدة ثم هدأت حركته

لقد استغرق قابيل في ذهول عميق .. ان الفكرة قد نبتت في
ذهنه وان العزم قد استقر

ولكن كيف يبدأ التنفيذ

لقد أخذ يحوم حول أخيه ويدور يقترب اليه ثم يتبعد ونظرة
شارد الى الافق البعيد وقال

سيفتحي اليوم ما بيننا يا هابيل .. اني سأقتلك .

وحاول هابيل أن يقتسم ليخفف من غلواء الشر .

وأضربت هذه الالبسة تار الخقد الكمين فتقاص وجه قابيل
وارتجفت يداه وهو يمدحها في قوة وعزم نحو عنق أخيه وقد نظمت
عيناه بالشر .

قال هابيل ... لا تقتلني فتبوء باثمي وتكون من الظالمين فانك
لو مددت إلي يدك لتقتلني فان أعاملك بالمثل وانما سأدع يدي الى
جاني فاني أفضل ان تقطعها على أن تمدا إلى أخي بسوء .

انني أقوى منك جسدا ولكني سأدع نفسي للاقدار وأذكرك
مرة أخرى يا قابيل أن لا تقتلني فتبوء باثمي وتكون من الظالمين .

فازداد قابيل شراً واستجمع قواه الملتوية في يديه وضغط بهما
على عنق هابيل وأخذ يضغط .. ويضغط وعيناه يسكاد ينبثق منهما
الشر .

وأرسل هايل صوتا ضعيفا خافتا ينفذ في قوة وعنف من
شجرة التي ضيق عليها قايل الخناق .

ولكن هذا الصوت وقف على شفته فلم يسمعه قايل .. وما كان
ايل في حاجة إلى كلام يسمعه .

إنه يسمع تلك الصرخة الواحسة التي نادت عن صدر الطير
لمقتول ثم تلاشت في الفضاء .

إنه يريد أن يسمعا مرة أخرى لا من الطير في هذه المرة ..
ولكن وأصفاه من أخيه الحبيب .

ولم تند عن هايل صرخة .. لقد ذكر الله ونظر إلى الحياة نظرة
وداع وطاف بخاطره صور آية آدم وأمه عواء واختوته ، وتلك
الشمس المشرقة وذلك الجبل الرابض وكل هؤلاء يشبهون الله .

إن صورهم جميعا تنبئ له في لحظاته الأخيرة في شيء يشبه
النغام وأصواتهم تطرق مسامحه ..

وأمسك قايل برأس أخيه وأخذ يدفع هذا الرأس دقا شديدا
متصلا على الصخر .

وذهبت حرارة الجسد الطاهر وهوى جسد هايل مسترخيا على
الأرض .

ثم لم يدعه قابيل .. لقد ظل قابضاً على الرأس يدقه ويدقه ^{١٥}
نتائر أشلاء في الفضاء
وأخيراً ..

تنبه إلى أن هاويل لم يعد يبكي صراخاً .. إنه لم يصرخ تلك
الصرخة التي أرسلها الطير ولكن ماذا يهم مادام قد أصبح جثة
هامدة لا حول لها ولا قوة .

ووقف قابيل ينظر الى الجثة .. يحركها يميناً وشمالاً .
وشعر فجأة كأن مطرقة من الحديد هوت على أم رأسه فهو يترنح
وتصور الدنيا وقد أمست ظلاماً يسكت تنفخه من كل جانب .. وهو
يسكاد يسمع الجبل والشجر والارض والماء كل ذلك يصب عليه
الامنيات .

لقد هدأ جسد هاويل .. ولكن هذا الهدوء لم يرح قاب قبايل ..
وانطبعت صورة الجثة دلي وضعها هذا في ذهنه .
وحاول أن يغمض عينيه حتى لا يراها .
ولكن هيات ..

* * *

لقد كان قاييل أول رجل يشتمى امرأة على الارض .
وكان أول من ارتكب جريمة فى سيديل هذه الشهوة .
لقد نبتت، الشهوة على الارض ومنها انبتت دماء الجريمة .
وكان الانسان الطاهر .. هاييل .. أول ضحية للشهوة والجريمة .

ودارت الأرض تحت قدمي قاييل .. وهاجمه ندم مريع قتال ..
وشمن بألم ممض يكاد يمتهر قلبه ..
ولكن ماذا ينفع كل هذا الآن .. فانهمرت من عينيه الدموع .
وتبدت له صورة اقليما .. فراعته حسنها .. ولكن راعه أكثر
وأكثر هذا الثمن الباهظ الذى اقتضاه .
انه ثمن دفعه من انسانيته .. فليس الذى يقتل أخاه بإنسان
لعله وحش .. أو لعله شيء آخر دون الوحوش .
فهو لم يبصر بعد وحشان يقتتلان .
ولكنه أبصر طائرين وكان أحدهما الشيطان
وهكذا خدع قاييل
لقد عرف أنه الشيطان .. ولكن ماذا تجدى هذه المعرفة الآن

وانتابه ما يشبه الجنون فأخذ قلب الجنان البادي أمامه في
استسلام غريب ذات اليمين وذات الشمال
ولكن الجنان لا يتحرك

وأخذ يصرخ وينادي ها بيل .. ها بيل
ورددت الجبال صدى الصوت . ثم لم يسمع للنداء جوابا ولم يعد
يهرى ماذا يفعل .. هل يترك أخاه ويذهب وحيدا لقد حمله على ظهره
وسار به على غير هدى
واسكن الى ابن .. ؟

انه لا يحسر أن يذهب الى ابيه وأمه وهو يحمل أعز الناس اليهما
وقد أزهق روحه .

لقد سار .. وسار .. أياها وليالي .. ثم أياها أخرى بقتات من
خشاش الأرض ثم يتموم مجنونا يحمل الجنة من جسد وبين الحين
والحين ينادي ..

ها بيل .. ها بيل
سعى ظهر ربح الجنة .. وكان ها بيل أكرم عند الله تعالى .. من
أن يدع بيتا به الطاهر لهذا الجنون
وكان قايل عند الله تعالى أحقر من أن يتلقى من السماء وحيا
برشده إلى ماذا يفعل .

أبه حقير قد انحط إلى مادون مرتبة السوائم .
إذن فليتلق عن الطيور دروسه وعلمه ليذكر أن هذه الطيور
أكثر علما وإدراكا للحقائق من ذلك الإنسان المخبول فأرسل
الله تعالى غرابين يقتتلان فقتل أحدهما الآخر .. ثم حفر له بمنقاره
حفرة ووارى جثته تحت التراب .



هنا فاضت عيناه بدموع غزار وأخذ يحفر التراب يسيديه وكلما
حفر شيئا من تراب مرغ فيها وجهه .. فاختلط التراب بالدموع وهو
ما ينفذ بين الحين والحين يقف شارد اللب كالمجنون ينادى أخاه
لعله يجيب .

فلا يسمع إلا صدى الصرير .. يليه ضحك مستهزئ يكاد يسد
منافذ الجبال يرسله الشيطان كالرعد فرحا وشماته .

حتى أتم حفر القبر .. ثم رفع الجثة .. وواراها التراب .
وجلس .. يبكي .. ويبكي .. وبطيل البكاء
ثم أنهار حطاما على القبر الطاهر كأنه يسمع صوت أخيه
ينبعث من تحته يقول

أنى أريد أن تبوء بائني وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك
جزاء الظالمين

ففزع إذ سمع لأول مرة بعد قتل أخيه صوته ينبعث من تحته
النراب .

تولى مدبرا يجرى على غير هدى يريد أن يهرب من الصوت
ولكن عبثا كان يحاول .

فحيثما توجه كان الصوت يرن في أذنيه رنيناً .
أنى أريد أن تبوء بائسى وأثمك فتكون من اصحاب النار

بعد الزواج

كان قابيل يغط في نومه والليل مسدل أستاره على السكون وقد
هدأت الاصوات إلا أصوات السباع التى تنبث من الفسلة .
ولكن صوتاً أكثر نكراً من هذه الاصوات قد شق سكون الليل .
انه صوت مجرم آثم يتمذب

نقد تزوج قابيل اقلما ومرت على ذلك أيام وشهور ولكن هذه
السعادة التى نالها لم تأت صدافية فان مثلها كمثل الانسان الذى يتجرع
كوباً من الشراب السائخ قد امتلأت بالدم او كمثل الذى يرتدى ثوباً
من حرير فتبرز من هذا الشرب أشواك تدعى جسمه
حيثما تجول فثم شبح هايل الوديع الحكيم يطالع . . انه

بصر أخاه قائما يصلى فى أقصى الجبل تحت ظلال الشجرة العتيقة.
لوارفة فيطفر قلبه فرحاً ثم يجرى . . . ويجرى . . . وكلما جرى رأى
لصورة تبتعد وتبتعد حتى يدرك أخيراً أنه يجرى وراء سراب
لقد مات قابيل . . . ولقد وسده بنفسه التراب بعد أن أسكن
أنفاسه فى اللؤلؤ

ويعود الى بيته مبهوماً مدحوراً يلاحقه شبح أمه وتجرى اليه
زوجته اقلما التى فاز بها متحدى كل توجيه . وعصى أباه فاذا به يراها
الآن أصل كل بلاء

أنها تجرى نحره تسأله عما به فيدفعها عنه فى عنف ويخذل إلى
الفراش . . . وفى الفراش أنه يتقلب على تنوك القتصاد وأن الفراش
ملتبب والدنيا شتاء قارص وجسده يفور ويغلى كأنه محموم .

وتجنب قابيل الطعام والشراب
لقد ظل يتقلب فى فراشه ذات مساء وأنه يقذف من فراشه ليدس
فى أذنيه قطعاً من الحصى حتى لا يصل اليه هذا النداء المتصل . . . ولكن
عاشاً يحاول .

ان صوت الجريمة يلاحقه . . ان نداء متصلاً يرن فى أذنيه
قابيل لقد قتلت أخاك
قابيل لقد قتلت أخاك

صوت من هذا . ؟ انه ليس صوت أبى . وليس صوت أمى . .
وليس صوت اقلها ولا لבודה

فهل يكون هو صوت هابيل الحكيم الوديع
كلا — ثم كلا — فان هذا الصوت . . صوت منك قبيح وأقن
هابيل أعظم من أن يعاقب أخاه حتى بعد موته
لقد ترك الامر الى الله بل لعل هابيل يسأل ربه له العفو والمغفر
إذن فمن يكون صاحب هذا الصوت
انه ينادى من أنت . أجب . . أجب .

* * *

فيأتيه الجواب من بعيد . . أنا . . أنا .. ؟
أنا ذلك الطير الذى دق رأس أخيه
أنا ذلك المخلوق الذى طرده أبوك من الجنة
أنا ذلك الرفيق الذى يؤنس وحشتك . انى أذكرك الآن بجرمك
يا قاييل انى أقول لك لقد قتلت أخاك . وسأظل أقولها وأرددها
حتى أحطم أعصابك لن تنسى جريمتك . سأدعها ماثلة أمام عينيك
لن تفر منى .
أجل لن تفر منى . . محال . . ثم محال

ويهم قابيل من نومه مفزوعا
ان الصوت قريب منه جداً فلا بد أن يكون المتكلم قد اقتحم عليه
الكهف أنه يبصره ويلاحقه وقد رفع حجراً يريد أن يحطم به رأسه
فاذا بهذه الصورة تتلاشى
ولكن الصوت يبقى مردداً
قابيل . . لقد قتلت أخاك

ويهم قابيل أن يضرب رأسه بالحجر ليستريح وإذا بأقلبها تبدى له
في اروع وأجل صورة تحمل عنه الحجر وترده عنه وتلاحقه وتقبله
فيبيكي بين يديها

وفجأة يستفيق من غفلته ليرى أقلبها نائمة تغط في نومه لا تلتقي بالآ
إليه ولا إلى هواجسه

وان هذه الصورة التي بدت له هي الشيطان قد اتخذ من طيفها
سلاحاً مماناً في النكابة به . فينادى ويلى . . ويلى . .

إلى أين المفر . .

ويهم بأن يقتل أقلبها . . ولكن شيئاً يقف في قلبه يرده عنها .
إنها الشهوة . . ان هذا الجسد متاع لك يا قابيل .
إنك لن تفعل . . لقد فزت بهذا الحسن .

بل لو برز اليك هابيل من قبره .. فانك ان تتردد أن تقتله
مرة أخرى .

❖ ❖ ❖

إنك مجرم .
مجرم مصر على أئمه واجرامه .
إنك عبد الشهوة .
وان تبعد لنفسك فكاكاً منها .
وهكذا كل عبيد الشهوات .

❖ ❖ ❖

واغیرا تنحط أعصابه فينام .
ولكن ما هذا ؟ ..
إن صورة الجبل تبدى له وإن هذا القرين الذي قدده بيديه
ينهض قائماً ثم هذا قرين أخيه وهذه نار تنقض كالصاعقة فتأخذ
قرين هابيل .
وأما قربانه هو .
هل تأكله السباع ؟ ..

ولكن السباع لم تتقدم .. وإن القربان يتعفن وأنه يتحول إلى
شيء لزج مائع تسيل منه الدماء .. إن الدماء تسيل من الجبل انهارا
سأنها السيل . ان الدم يغطي أديم الأرض في كل مكان .
حتى المياه قد انعكس عليها لون الدم فأصبحت حمراء .
وتظل الدماء تسيل وتسيل .. انها تجري مندفعة كالسيل تلاحقه
كأنه يسبح في بحر من الدماء .
ونجاة يصرخ ويستغيث .
لقد أشعلت هذه الدماء فأصبحت نارا .
ان قابيل يحترق بدماء أخيه .
وان الصوت المنكر البغيض يردد .. ويردد .
قابيل . . لقد قتلت أخاك .
لقد بؤت بأثمه وأثلك . . فأصبحت من أصحاب النار .
ويل لك يا قابيل . .
أنه يهب من نومه منزجا ليلقي عذابا في اليقظة أكثر مرارة من
مزجات الآلام .

انتظر الرسالة التالية

انتظر . . الرسالة التالية من قصصى الأنبياء

نوح عليه السلام

بأسلوب تحليلي قصصى مبتكر